

عرف كيف يبدأ، ولا يعرف كيف ينهي



14 نوفمبر 2019 - 08:00

طلال عوكل

ربما لا يجد بنيامين نتنياهو نفسه مضطراً، لأن يلاحظ مدى أهمية التزام بين اغتيال الشهيد بهاء أبو العطا، ومحاولة اغتيال العجوري عضو المكتب السياسي لحركة الجهاد الإسلامي، في اليوم الذي يحيي فيه الفلسطينيون ذكرى اغتيال الشهيد الزعيم ياسر عرفات.

وسواء ورد في ذهنه هذا الأمر أم غاب عنه، فإن جريمة الاغتيال الجديدة، تقدم شهادة، على طبيعة الاحتلال الصهيوني أولاً وثانياً كأنها تتطوي على اعتراف غير مباشر، بمسؤولية اغتيال ياسر عرفات، اليد ذاتها، هي التي تمارس تعبيراً عن طبيعتها وطبيعة مشروعها، التي امتدت لاغتيال قائمة طويلة من القادة والكوادر معظمهم من الفلسطينيين، وبعضهم ممن يتعاطفون مع الشعب الفلسطيني وقضيته. لا حاجة ولا مجال لأن يتواطأ أحد مع إسرائيل إزاء جريمة الاغتيال الجديدة، فلقد وقعت مع اعتراف صريح مباشر، لا تنفع لقبوله كل الذرائع التي تسوقها آلة السياسة الإسرائيلية.

في عديد المرات، كان البعض يطالب بضبط النفس، ومنهم من وجد لإسرائيل عذراً، هو أقبح من ذنب، مدعياً بأن من حق إسرائيل أن تدافع عن نفسها، لكن هؤلاء لا يجدون للفلسطيني عذراً ولو لمرة واحدة، باعتباره يدافع عن حقوقه وعن نفسه.

واضح كل الوضوح البعد الذاتي، الذي يقف خلف عملية الاغتيال المترامنة والمزدوجة، ذلك أن نتيناهو يقوم بمحاولة، بل بمغامرة إن اقتضى الأمر، لخلط الأوراق، ووضع عقبات جديدة أمام إمكانية نجاح بيبي غانتس في تشكيل حكومة بدون الليكود وبعيداً عن نتيناهو. يدرك رئيس الحكومة المأزوم، بأن ثمة فرصة، يوفرها استعداد ليبرمان، لقبول المشاركة في حكومة مصغرة، بغطاء من النواب العرب في الكنيست، ولكن دون مشاركتهم. الأمر الذي سيؤدي بنتيناهو إلى السجن أو في أحسن الأحوال إلى منزله.

نتيناهو الذي اعتقد أن بإمكانه، أن يعلن لنفسه إنجازاً، كان يراهن على جولة محدودة، يتوقع معها، ردود فعل يمكن استيعابها ثم يتدخل الوسطاء لتحقيق تهدئة، نسبية مقبولة، وقد استعد نتيناهو لذلك، فبين اتخاذ القرار قبل أكثر من أسبوع وتفيذه، كان قد أمر الجبهة الداخلية بالاستعداد، ونشر المزيد من منصات القبة الحديدية حول تل أبيب، وفي محيط قطاع غزة.

ثم راهن نتيناهو، أيضاً، على إمكانية تحييد حركة حماس، للمرة الأولى حين أعلن أن الجيش الإسرائيلي سيتجنب قصف مواقع لحماس، إن هي وقفت على الحياد ولم تتخرط في الرد.

هي محاولة فاشلة للاستفراد بحركة الجهاد الإسلامي، بذريعة اتهامها بأنها تتبع الأجندة الإيرانية، ولدق إسفين بينها وبين حركة حماس وتأجيج التناقض والصراع بينهما. فصائل المقاومة التي استوعبت هذا التكتيك استجابت له، مؤقتاً، واكتفت بإصدار بيانات قوية في إدانة العدوان، والاستعداد لتدعيم إسرائيل الثمن، لكن هذا المشهد الذي تشكل

خلال اليومين المنصرمين وغابت عنه مشاركة كتائب القسام، من غير الممكن أن يستمر لفترة أطول.

خلال اليومين المنصرمين، لم يجد الجيش الإسرائيلي بنكاً للأهداف التي تتصل بحركة الجهاد الإسلامي، وتمنحه الفرصة لإلحاق أذى كبير وخطير، ولذلك جاء رده مرتبكاً، متقطعاً، وضعيفاً، الأمر الذي قاده إلى ملاحقة البنية البشرية للجهاد، في المنازل والشوارع، في محاولة لتبرير جريمته من ناحية والضغط على سرايا القدس للتوقف عن إطلاق الصواريخ.

النتيجة هي أن السرايا واصلت إطلاق الصواريخ، وفق حسابات، ما جعل ننتياهو يتوسل وفقاً لإطلاقها مقابل وقف عدوانه.

من الواضح أن العدوان الإسرائيلي والرد عليه هذه المرة سيستغرق وقتاً، وليس كما الجولات السابقة، فما جرى حتى الآن ليس أكثر من بدايات وعملية تسخين تسبق توسع الرد الفلسطيني الذي ستتخطى فيه بقية الفصائل بما في ذلك حركة حماس.

هذا الأمر، بدأ يثير أسئلة لدى الجيش وفق ما تتقله وسائل إعلام عبرية، إذا بدأ البعض يتساءل حول الوجهة التي يقود إسرائيل إليها رئيس الحكومة، والأرجح أن هذه الأسئلة ستكثر حين يتم تصعيد القصف الإسرائيلي، وتوسع الرد الفلسطيني. في هذه الجولة الطويلة، التي لا حدود زمنية لها، ومن غير المحتمل أن تتدرج إلى حرب واسعة تحرص الفصائل على أن تكون هي صاحبة الكلمة الأخيرة. وفق هذا المنظور، فإن من غير الممكن أن تجدي الوساطات في التوصل إلى تهدئة، قبل أن يقتنع الوسطاء بأن إسرائيل ستدفع ثمن قرارها البدء في التصعيد. كل ما يمكن أن يفعله الوسطاء، هو إقناع الأطراف بأن لا تسمح بتدرج الأمور نحو تصعيد كبير شامل وواسع على غرار الحروب السابقة، ثم الانتقال إلى المعالجة لتحقيق تهدئة، لا يسمح الفلسطيني بأن تكون مجانية، أو دون ضمانات.